فلسفة الموت عند الإمام الحسين عليه السلام

الأستاذ المساعد الدكتور
عباس علي الفحام
جامعة الكوفة - كلية التربية الأساسية

المقدمة

لا ريب في أن الكتابة عن عظيم مثل الحسين عليه السلام شرف وكرامة، فضلا عن أنه فرصة للبحث عما هو جديد وسط زحام البحوث الرائعة حول هذه الشخصية الإنسانية الإسلامية الكبيرة ، ومن هنا جاء بحثنا بعنوان (فلسفة الموت عند الإمام الحسين عليه السلام) محاولا ترسم طريق جديد في البحث عن خبايا هذه الفلسفة ، وقد وضعت لها خطة دراسة شملت تمهيدا ومبحثين ، ضم التمهيد موضوع (الموت وكرامة الشهادة) وتحدثت فيه عن هبة الله لعباده المخلصين في نيل الشهادة ولاسيما أئمة أهل البيت عليهم السلام .

أما المبحث الأول فقد جاء بعنوان (الموت في فكر الإمام الحسين(عليه السلام)) وبحثت فيه فكر الإمام عليه السلام في خلال عباراته للموت فكانت بالعنوانات الآتية : السعادة ، والقلادة والوله، والعسل والحق.

وأما المبحث الثاني فقد درست فيه مسيرة الحسين عليه السلام نحو الموت وأسميته (رحلة الحياة) وضم أسس تلك الرحلة وهي : أولا: وضوح الغاية .

وثانيا : التسليم المطلق لله تعالى .

وثالثا: الواقعية.

هذا وقد اعتمدت الصبغة التحليلية في النصوص الحسينية لمحاولة الوصول إلى رؤية الحسين عليه السلام وفلسفته للموت ، ومن هنا كان جل اعتمادي على المصادر التاريخية التي وثقت كلامه عليه السلام ، فضلا عن بعض معاجم اللغة والكتب النقدية والفكرية .

ويبقى همنا من ذلك كله تقديم هذه الحقيقة الخالدة التي اتخذها جميع الأحرار شعارا لهم ولقضاياهم المشروعة عبر تاريخ الإنسانية وحاضرها ومستقبلها ، أسال الله تعالى التوفيق في هذا العمل إنه ولي حميد .

التمهيد

الموت وكرامة الشهادة

افتخر الشعراء الفرسان بطلب الموت في ساحات الوغى في التراث العربي قبل الإسلام، وعدوا ذلك جزءا من البطولة والشجاعة. وفي الإسلام اكتسب طلب الموت بعدا قدسيا، تمثل في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وعد الظفر بالشهادة في سبيل الله تعالى فوزا عظيما لا يناله إلا ذو حظ عظيم ، وبشر الله

تعالى الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [1].

وفعلا ارتبطت مفردة الشهادة بالعاقبة الحسنة وأصبحت أمنية المؤمنين .

ومما يلفت الانتباه إكرام الله تعالى لأحبائه بهذه النهاية السعيدة ، ولاسيما النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين ، ولو استعرضنا خواتيم حياتهم لأدركنا الفلسفة الجديدة للموت التي طرحها الإسلام في كرامة الشهادة ، فجميعهم قضوا شهداء ، إما بحد السيف وإما بالسم غيلة على يد عتاة عصورهم ، فالرسول الكريم قضى مسموما بأكلة اليهودية غيلة ، والإمام علي عليه السلام (ت٤٠هـ) قضى شهيدا صلاته بسيف الشقي المرادي، والحسن الزكي(ت٥٠هـ) مات مسموما بجنود عسل معاوية ،والحسين(ت٦١هـ) قضى شهيد ثورته على يد زبانية يزيد، والإمام علي زين العابدين(ت٩٥هـ) سمه الوليد بن عبد الملك ، والإمام الباقر(ت١١٧هـ) مات مسموما على يد هشام الأموي ، والإمام الصادق(ت١٤٨هـ) توفي مسموما بتدبير أبي جعفر المنصور ، والإمام الكاظم(ت١٨٣هـ) قضى شهيد سجونه مسموما على يد هارون الرشيد ، والإمام الرضا(ت٢٠٣هـ) قضى شهيد غربته مسموما على يد المأمون بن الرشيد ، والإمام محمد الجواد(ت٢٢٠هـ) قضى شهيدا على يد المعتصم العباسي ، والإمام الهادي(ت٢٥٤هـ) على يد المعتز العباسي، والإمام الحسن العسكري(ت ٢٦٠هـ) مات مسموما على يد المعتمد العباسي[2] ، وهكذا قضى أبناؤهم وأحفادهم قتلا وتشريدا . ولا ريب في أن هذه الظاهرة تدل على مجموعة من الإشارات ينبغي الوقوف عليها ومنها :

أولا : إن ذلك يدل على فاعلية أئمة أهل البيت وعمق تأثيرهم في مجتمعاتهم ، الأمر الذي يقض مضاجع طغاة عصورهم بسبب خوفهم من انقلاب الناس عليهم وفقدان سلطتهم .

ثانيا : إن هؤلاء الطغاة يمثلون قمة الشر في أزمانهم ، لأن من يقدم على جرائم قتل أولاد الأنبياء بدم بارد لابد أن يكون من أشقى الأشقياء .

ثالثا : إن لهؤلاء كرامة من الله تعالى تمثلت بالشهادة التي حباها الله تعالى لأودائه . وعلى حد تعبير الإمام زين العابدين مخاطبا عبيد الله بن زياد : ((أبالقتل تهددني يا ابن زياد، أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة)) [3] .ومثله قول أبي عبد الله الصادق ((والله ما منا إلا مقتول أو شهيد)) [4] .

رابعا: الشعور المستحوذ على الطغاة بأحقية أهل البيت بخلافة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وهو هاجس لايقوون على إخفائه إلا بإزالة الأئمة المعصومين من طريقهم . وقد توسل الطغاة العباسيون من أجل هدفهم في إضعاف التأثير العلوي في نفوس الناس مختلف الوسائل من الترغيب والترهيب

فابتدعوا مذاهب فقهية جديدة ، ووظفوا إعلامهم المتمثل بالشعر في ادعاء قرباهم من النبي(صلى الله عليه وآله) بحجة أنهم أولاد العم وأولئك أولاد البنت وقام شاعرهم مروان أبي حفصة يقول[٥] :

أنـى يكـون ولـيس ذاك بكـائن لـبني البنـات وراثـة الأعمـام

بل لم يخف الرشيد ذلك فاحتج على الكاظم بأنه أولى بالخلافة منه بحجة أحقيته بوراثة النبي صلى الله عليه وآله ، فقال له الإمام الكاظم :((لو عاش رسول الله صلى الله عليه وآله وخطب إليك ابنتك أكنت تزوجه ؟ قال:إي والله.قال:فلو عاش فخطب إلي أكان يحل لي أن أزوجه؟ قال : لا. قال:فهذا جواب ما سألت))[٦] .فغضب الرشيد.

خامسا : النضال السلمي الذي انتهجه أئمة أهل البيت عليهم السلام من أجل إحداث التغيير وتعديل المسار ، لاسيما بعد فاجعة كربلاء ، الأمر الذي حير الطغاة في التعامل معه ، فلجأوا إلى أسلوب التصفية الهادئة - إذا صح الكلام - بطريقة السم غيلة وغدرا .

المبحث الأول

الموت في فكر الإمام الحسين (عليه السلام)

ارتبطت مفردة الموت في المأثور الأدبي العربي بالشر ومعانيه بشكل عام ، باستثناء تغني الفرسان بالموت والحرب من جهة الشجاعة والإباء ، وقد حملت صور الشعراء كراهية للموت ورسمت له صورا بشعة كررها الشعراء كثيرا على مر العصور، مثل قول أبي ذؤيب الهذلي راثيا أبناءه :

وإذا المنيـة أنشـبت أظفارهـا ألفيـت كـل تميمـة لا تنفـع

وقول ابن الرومي راثيا ولده الصغير[٧] :

ألا قاتـل الله المنايـا ورميهـا من القوم حبات القلوب على عمد

وفي العصر الحديث مثل هذه الصور كقول الجواهري [٨]:

أنـا أبغـض المـوت اللئـيم وطيفـه بغضـي طيـوف مخاتـل نصـاب

يهـب الـردى شـيخوختي ويقيتهـا بكهـولتي ويقيتهـا بشـبابي

ذئـب ترصـدني وفـوق نيوبـه دم إخـوتي وأقـاربي وصـحابي

أما في مأثور أهل البيت عليهم السلام فلن تجد مثل هذه المعاني ، ففي قول الإمام علي عليه السلام أكثر من صورة للموت ليس فيها مثل هذه الحدة من الكراهية كوصفه له بأنه : ((زائر غير محبوب وقرن غير مغلوب وواتر غير مطلوب))[٩]. وقد لخص الإمام علي عليه السلام فلسفته في إقبال الموت عليه على أنه فوز حين أطلق صيحته المشهورة (فزت ورب الكعبة)[١٠] عندما ضرب رأسه الشريف ابن ملجم، وهو ساجد لله تعالى في صلاة الفجر، وهي صيحة فرح أذهلت الإنسانية وأبانت عن عمق ذوبانه في الله

تعالى، واختزلت في ثلاث كلمات أكثر من ستة عقود من الجهاد والتفاني في الإخلاص للخالق العظيم. فهو لم يعلن فوزه هذا في مناسبات شبيهة بمثل هذه الضربة يوم الخندق مثلا، ولم يطلق صيحة الوجع على الإطلاق، بل أعلنها ربحا ومجازا نحو حياة أبدية خالدة تحت رحمة الخالق العظيم. وتلك لا ريب فلسفة عملية عميقة قدمها الإمام علي عليه السلام وورثها من بعده ولده عليه السلام وتبعها الأحرار في مختلف العصور .

بهذا البصر النافذ نظر الحسين عليه السلام إلى إقباله على الموت ، بوابة عظيمة من بوابات العبور إلى الفوز بالشهادة ورضوان الله تعالى وإحياء دين المصطفى صلى الله عليه وآله ورفض الظلم والطغيان ، لذلك كانت تعبيراته ناظرة إلى أبعد من زمانه الذي عاشه، إلى العصور كلها، وكأنه يعلم أنه سيكون شعار الأحرار وطالبي الحرية ورافضي الظلم عبر المستقبل الإنساني ، فالتمس لأفكاره زيادة على ما ورث من آبائه من قيم البطولة والشهادة كلمات تستعمل في معاني الحب والاشتياق وقلما تستعمل في صور الموت، في ظاهرة تستحق من الباحثين الوقوف عليها مليا لاستجلاء خباياها وخفاياها ، أقلها روعة استبساله في الإيمان بفكرته والتضحية دونها ورؤيته للفوز الحقيقي المستقبلي على الرغم من يقينه بخسارته العسكرية الآنية ، بعبارة ثانية قدم الحسين عليه السلام معنى جديدا للانتصارات والانكسارات في الحروب لا يمكن تبيانه إلا بالنظر الفاحص إلى قصة الحسين عليه السلام وعمق كلماته. ويمكن تلمس بعض الوقفات :

السعادة :

قال الحسين صلى الله عليه وآله في مكة حين عزم على بدء الإعلان عن ثورته والمسير إلى العراق : ((لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما)) [11] .بهذا الحصر والقصر بأسلوب النفي والاستثناء ، ينفي رؤيته للموت بغير رؤية الفرح والسعادة ، والحياة مع الظلم والطغيان سوى الضجر والبرم . إن ذلك الموت الذي يقضي على الأنفاس ويقطع الآمال وبكل ما يحمل من معاني التعلق بالحياة لا يعني للإمام سوى السعادة ، سعادة لا يبصرها غيره ، لأنها تتعلق بقيم غالية اختير لإحيائها وإن كان الثمن غاليا بقيمة دم الحسين وأبنائه وصحبه إلا أن الغاية أغلى وأثمن إنها إحياء الدين الإسلامي وسنة الرسول صلى الله عليه وآله ، نعم إن ثمن دماء الحسين غال وخسارته بهذه الطريقة عزيزة نعم هي كل تلك المعاني التي نحيي لأجلها ذكراه على مدى القرون الماضية غير أن الهدف الأسمى يستحق ذلك ، فالأمة التي استساغت لنفسها هذا الركون وهي ترى وتسمع كيف تسعى السلطة الأموية علنا لتشويه صورة الإسلام وتغيير شكله ومضمونه – أقول – إن الأمة لا يوقظ نومتها غير هذا الثمن العظيم ولا ينبهها من نومتها سوى صيحات الحسين عليه السلام (ألا هل من ناصر ينصرنا) و(انسبوني معرفة من أنا) وغير صراخات أطفاله العطشى وسبي نسائه الثكلى كأسارى الديلم والروم .

لكل ذلك يسمي الحسين عليه السلام موته سعادة لأن حقق اختيارا إلهيا لهذه المهمة العظيمة ولأنه أنجز واجبا أنيط به ونبأه بتفاصيله وفداحته جده العظيم وأبوه البطل صلوات الله عليهما وعلى آلهما .

القلادة والوله :

يتداعى إلى الذهن حين تطلق لفظة (القلادة) منظر الفتاة ومعاني النعومة والانشداد إلى الحياة وملذاتها ، غير أنها هذه المرة تخالف المخزون الذهني بقلب صورتها على وفق فلسفة الحسين عليه السلام ، فقد قال عليه السلام في خطبته ذاتها التي عزم فيها على التوجه إلى العراق الذي هو رمز معارضة الطغيان على الرغم مما يقال عنه من غدر للحسين عليه السلام : ((الحمد لله وما شاء الله ، ولا قوة إلا بالله ، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة ، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف)).[١٢] لا أذكر أحدا قدم للموت صورة جميلة في الظاهر سوى هذه الصورة التي تحمل فكرا عظيما بعظمتها ، فالإمام يريد أن للموت أثر على المرء لابد منه وهو لصيق به ،و لا يمكن نزعه عنه ، وعقد له شبها يخالف ما أثر من الصورة المأثورة المنفرة للموت وذكر سماعه بالنسبة لغير الحسين وآل الحسين عليهم السلام ، صورة أثر خط قلادة الفتاة المطوق لجيدها ، وفي إيحاء الطوق المستبطن في معنى القلادة ما يشير إلى حتمية انقياد المرء إلى الموت، والانقياد يتم في العادة من الرقبة إمعانا في رسم صورة الاستسلام ،على الرغم من أن ظاهر الصورة قلادة وفتاة ، ويبدو أن اختيار الفتاة دون غيرها لولعها بديمومة لبس الحلي ديمومة تستبين معه آثار الطوق أكثر . إن تقديم هذه المعاني باستعمال الفعل المبني للمجهول (خط) يشير أيضا إلى تلك الحتمية ، إذ إن التصريح بالفاعل هنا لا مبرر له لأنه معلوم لدى السامع وظاهر وهو الله تعالى ، وطالما أنه حتمي قدر على كل ولد ابن آدم بأجناسهم وأديانهم المختلفة ، وهو هنا يعني تلك المعاني لأنه لم يستعمل بدلها لفظة (المسلمين أو المؤمنين) بل (ولد آدم) على جهة العموم .أقول طالما أنه كذلك فما أشوق الإمام عليه السلام للالتحاق بآبائه مشبها ولهه هذا باشتياق يعقوب النبي لولده يوسف ، في كناية واضحة إلى تطلعه إلى الفوز بالشهادة في سبيل الله تعالى .وهي من قوله تعالى حكاية عن يعقوب :

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[١٣].

إن عبارات الإمام الحسين عليه السلام وما تحمل من ألفاظ الوله والسعادة والاشتياق لا تدل إلا على عشق حقيقي عميق لاغتنام فرصة الشهادة التي أولها الموت وآخرها لقاء الأحباب الماضين وغايتها نيل الفوز برضوان الله تعالى.

العسل :

كان الحسين عليه السلام في غاية الصراحة والواقعية مع أصحابه وأهل بيته في مواقفه كلها ، فقد دعـــاهم

غير مرة إلى الاختيار بين الرحيل أو البقاء إن شاؤا ، وفي ليلة الواقعة قال لهم : ((يا قوم ! إني في غد أقتل وتقتلون كلكم معي ولا يبقى منكم واحد . فقالوا : الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك وشرفنا بالقتل معك ، أو لا ترضى أن نكون معك في درجتك يا ابن رسول الله ؟ ! فقال (عليه السلام) : جزاكم الله خيرا . ودعا لهم بخير ، فأصبح وقتل وقتلوا معه أجمعون . فقال له القاسم بن الحسن (عليه السلام) : وأنا فيمن يقتل ؟ فأشفق عليه فقال له : يا بني ! كيف الموت عندك ؟ قال : يا عم ! أحلى من العسل ! فقال (عليه السلام) : إي والله ! فداك عمك ، إنك لأحد من يقتل من الرجال معي بعد أن تبلي ببلاء عظيم)) [١٤]، ومحل الشاهد قول القاسم ابن أخيه الحسن عليه السلام وتأييده له (أحلى من العسل) بهذه السهولة من التعبير عن الموت وبهذه الثقة العظيمة بالله تعالى. وكأن هذه الروح التواقة إلى ذلك اللقاء الإلهي انتقلت بفعل العشق الحسيني إلى جميع أهل بيته وأصحابه الصغار منهم والكبار الرجال فيهم والنساء لأن في قصص كربلاء من تلك الصور ما يعجز عنه وصفه البيان ويقصر دون حده اللسان .

الحق :

وللموت معنى آخر في فكر أبي عبد الله الحسين عليه السلام هو (الحق) ، ومن أجل إحقاق الحق ترخص النفوس ، ففي حوارية بينه وبنين ولده علي الأكبر في منطقة قريبة من ضواحي الكوفة تسمى (قصر بني مقاتل) ورد عن الإمام زين العابدين أنه : ((لما كان في آخر الليل أمر الحسين بالاستقاء من الماء ، ثم أمرنا بالرحيل ، ففعلنا ، قال : فلما ارتحلنا من قصر بني مقاتل ، وسرنا ساعة خفق الحسين برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين . ففعل ذلك مرتين أو ثلاثا ، فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين على فرس له فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين ، يا أبت ! جعلت فداك مم حمدت الله واسترجعت ؟ قال : يا بني ! إني خفقت برأسي خفقة فعن لي فارس على فرس ، فقال : القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم ، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا ، قال له : يا أبت ! لا أراك الله سوءا ، ألسنا على الحق ؟ قال : بلى والذي إليه مرجع العباد . قال : يا أبت ! إذا لا نبالي ، نموت محقين . فقال له ﴿ الحسين (عليه السلام) ﴾ : جزاك الله من ولد خير ما جزى ولدا عن والده)). [١٥]، ولاشك في أن هذه الصور البطولية تنقل لنا عظمة هذه النفوس وسر الله تعالى في اختيارها في قرابين التضحية لأجل التغيير وهز العالم الإسلامي لينتفض من جديد .فهي شخوص قالت وفعلت، بل إنها حين قالت فعلت أكثر مما قالت .

هيهات منا الذلة:

إن هذا الشعار الذي رفعه الحسين عليه السلام في إباء الذل وإيثار الموت لا يمكن عده لزمن دون زمن إنه يسري من مفاصل مستقبل الإنسان سريان الدم في الشرايين ، تصلح في كل زمان وتتخذ لغة لكل إنسان حر يناضل من أجل قضية يؤمن بها ، ولعل ذلك من بعض اسرار الحياة للثورة الحسينية وهذا الفكر

الوقاد الذي أحسن مخاطبة الإنسان وعرف لغاتها كلها ، قال الحسين عليه السلام :

((ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين ، بين السلة والذلة ، وهيهات منا أخذ الدنية ، يأبى الله ذلك لنا ورسوله ، وجدود طابت ، وحجور طهرت ، وأنوف حمية ، ونفوس أبية ، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ، ألا إني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد ، وخذلة الناصر)) [١٦] .عقد الإمام لأسباب هذا الإباء صورتين متقابلتين :

الصورة الأولى : صورة الدعي ابن الدعي ويعني به عبيد الله بن زياد ، وهو دعي لأنه مطعون النسب ، فأبوه زياد - الملقب بابن أبيه - قد أغراه معاوية أن يلحقه بأبيه أبي سفيان شريطة الالتحاق باتباعه ، ولذلك هو دعي وابن دعي . أو لأنه يدعي ما ليس له من الإمرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة قتال الحسين بعده خارجا على بيعة الخليفة يزيد الفاسق والخارج على سنن الإنسانية فضلا عن الإسلامية ، والأول هو الأرجح .

الصورة الثانية : صورة نفسه وأهله التي صرح بإبائها للذلة وأخذ الدنية ، موضحا عزة المحتد وطيب الأرومة من الآباء الطيبين والأمهات الطاهرات اللواتي كنى عنهن بـ (حجور طابت) معرضا في الوقت ذاته بإيحاء خفي بالصورة المقابلة له حين ذكره بلفظ الدعي . إن مسألة الاستكانة بالوضع المنحرف القائم آنذاك يعني بالنسبة للحسين عليه السلام ذلا لا يمكن له الإقرار عليه لذلك أعلنها صراحة وهو في المدينة حين طلب إليه بيعة ليزيد بن معاوية (إن مثلي لا يبايع مثله) ، لا حين خير بين اثنتين القتل أو المبايعة التي سماها الذلة فضل الأولى معللا بأسباب معروفة لا تسمح بغير خيار الإباء فقال مباشرة على سبيل تواصل الكلام (وهيهات منا الذلة) وعدد منها :

أولا : أنها قضية شرعية ، إذ كيف لمسلم - فضلا عن الإمام الحسين ومنزلته بين المسلمين - مبايعة رجل معروف بخلاعته وخروجه العلني على قوانين السماء والشريعة من اللهو الماجن وشرب الخمر واللعب بالقرود وإتيان المحرمات .

الثاني: الطبيعة الاجتماعية المعروفة لهذه الأسرة الهاشمية المحمدية من الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة التي عبر عنها الإمام بـ (جدود طابت وحجور طهرت ..) وأطلق عليها مختلف الصفات الأبية من الأنوف الحمية والنفوس الأبية وكلها من كنايات العز والشرف التي تأبى الذل والانقياد الأعمى للباطل وتفضل عليه الموت .ومن هنا أعقب هذه الإباء بما يعزز مكانة هذه الأسرة فقال معلنا أنه زاحف بها للتغيير ولا أدري هل فهم الناس وقتها بعد معنى كلامه هذا ، لأن العربي من طبيعته وقت الحرب أن يصون عرضه ولا يعرضه لأخطار الحرب والسبي ، بينما الحسين عليه السلام يعلن أنه سيزحف إشعارا ببدء حربه السلمية بدلالة لفظ (الأسرة) وأي أسرة إنها أسرة آل محمد

وحرمه الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

المبحث الثاني
رحلة الحياة

قدم الإمام الحسين عليه السلام رؤيته في ثورته على حكم الطاغية الأموي، تلك الرؤية القائمة على فكر قرآني وتطبيق محمدي علوي، ربط فيه النظرية بالتطبيق . ومن هنا تبدو قيمة التنظيرات عبر التاريخ الإنساني وعمق أثرها في الإنسان على طول المدى . وقد حدد الحسين عليه السلام هدفه منذ عزم على الخروج من المدينة إلى العراق، وأبان عنه غير مرة وعلى طول طريقه من مكة إلى العراق ، وأخبر الجميع بأنه ذاهب إلى حتفه الذي أطلقنا عليه رحلة الحياة التي سنرى كيف نظر إليها الحسين عليه السلام بأنها الفتح مرة وبأنها الخلود تارة أخرى. بدأت رحلة الموت التي صح تسميتها برحلة الحياة على أسس ثابتة يمكن عدها فلسفة جديدة في التاريخ الإنساني والإسلامي سنحاول حصرها بما يأتي :

أولا : وضوح الغاية

أبان الحسين عليه السلام- فيلسوف التضحية – بكل وضوح عن غايته من مسيرته الثورية التصحيحية في أكثر من مرة وفي أكثر من موضع ، فمن كتاب له إلى أخيه محمد بن الحنفية قال : ((إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ،ولا ظالما، ولا مفسدا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد ان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)) [١٧] ، وفي مكة قطع حجه وأعلن عزمه على الخروج إلى العراق موطن الثورات الحرة فقام خطيبا في الناس فقال : ((... وخير لي مصرع أنا لاقيه ، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء ، فيملأن مني أكراشا جوفا وأجربة سغبا ، لا محيص عن يوم ، خط بالقلم ، رضى الله رضانا أهل البيت ، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين ، لن تشذ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لحمته ، وهي مجموعة له في حظيرة القدس ، تقر بهم عينه ، وينجز بهم وعده ، من كان باذلا فينا مهجته ، وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحا إن شاء الله)) . [١٨] ومرة ثانية يعي الحسين خطورة الموقف وينعى نفسه بنفسه (كأني بأوصالي تقطعها ذئاب الصحراء – مجازا أو حقيقة –) ، لأن الهدف سام والغاية نبيلة، ولا سبيل إلى تحقيقها إلا بهذه الدماء الزكية في ذلك الزمان والمكان الموعود بهما (النواويس وكربلاء) . وقد تكرر مثل هذا الوضوح لديه عليه السلام كثيرا نحو قوله : ((والله ! ليعتدن علي كما اعتدت اليهود في السبت)). [١٩]

وفي منطقة قريبة من الكوفة تسمى بذي حسم قام الحسين عليه السلام خطيبا في الناس موضحا أهداف ثورته بعد حمد الله والثناء عليه : ((.. إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون ، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها ، واستمرت جدا ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء ، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يعمل به ، وأن الباطل لا يتناهى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا)). [٢٠] فهي

المعركة الأزلية في الحياة الدنيا بين الحق والباطل ، وليس ثمة خيار للمؤمنين إلا ابتغاء الحق ولقاء الله تعالى به . ومن اللافت للانتباه إن هذه الخطبة تكاد تكون نسخة مكررة من خطب أبيه الإمام علي عليه السلام في التحذير من الركون إلى الدنيا ، ، وهي قوله عليه السلام: ((إلا وإنّ الدنيا قد ولَّتْ حذّاء فلم يبقَ منها إلاّ صُبابةٌ كصُبابة الإناء اصطبّها صابُّها)) (٢١)، وقوله : ((ألا وإنّ الدُّنيا قد تصرّمتْ وآذنَتْ بِوَداعٍ وتَنكَّرَ معروفُها فأدْبَرتْ حذّاءَ)) (٢٢) . والصُّبابة وهي ما تبقّى في الإناء(٢٣) استُعيرت لتبيان بقيتها القليلة ، وليس كالتشبيه بالحسّ في (صبابة الإناء) أصلح لبيان مقدار تلك القلّة، فما تبقّى من الدنيا قليلٌ مثلُ عدمه ولهذا يُشعر بشيء من التهكم والتحقير بقوله ((اصطبها صابها)) وهي بمثابة قولهم (تركها تاركها) (٢٤).

ولا ريب في أن الحسين عليه السلام كان قد حفظ كلمات أبيه وجرت على لسانه، وكثيرا ما كان الأئمة الطاهرون يطيب لهم تكرار كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وترديد عباراته كما فعل الإمام زين العابدين وهو يواري جسد أبيه الحسين عليه السلام الثرى قائلا : ((أمّا حزنيَ فسرمدُ ، وأما ليلي فمسهَّد)) (٢٥). وتلك كلمات أمير المؤمنين عليه السلام راثياً زوجه الزهراء عليها السلام وهو يواريها الثرى ، وما أشبه الحالين !

ثانيا : التسليم المطلق لله تعالى

أوكل الحسين أمره إلى الله تعالى وسلم له سبحانه تسليما مطلقا ، وهو بعد تسليم العارفين العاملين، تسليم إسماعيل لأبيه إبراهيم عليهما السلام في رؤياه بذبحه في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (٢٦) ، هذا التسليم المطلق يكسب هذه المسيرة بعدا روحيا قد يصعب فهمه حتى على المقربين من الحسين عليه السلام من إخوته وأبناء عمه ، لأن ثمة أسئلة كثيرة ستطرح هنا عن استغراب مسيره بأسرته إلى المجهول في نظرهم أما بالنسبة للحسين عليه السلام فلاشك في أنه معلوم أو لنقل تسليم مطلق ومعرفة خالصة بالله تعالى ، وقد ورد أنه ((سار محمد بن الحنفية إلى الحسين (عليه السلام) في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة فقال : يا أخي ! إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك ، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى ، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه . فقال (عليه السلام) : يا أخي ! قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم ، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت . فقال له ابن الحنفية : فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن ، أو بعض نواحي البر ، فإنك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد . فقال (عليه السلام) : أنظر فيما قلت . فلما كان السحر ارتحل الحسين (عليه السلام) ، فبلغ ذلك ابن الحنفية ، فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها فقال له : يا أخي ! ألم تعدني النظر فيما سألتك ، قال (عليه السلام) : بلى . قال : فما حداك على الخروج عاجلا . فقال (عليه السلام) : أتاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد ما فارقتك ، فقال : يا حسين (عليه السلام) ! اخرج فإن الله ، قد شاء أن يراك قتيلا . فقال له ابن الحنفية : إنا لله وإنا إليه راجعون ! فما

معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال ؟ ! فقال له : قد قال لي : إن الله قد شاء أن يراهن سبايا. وسلم عليه ومضى)) [٢٧] ، وفي يقيني إن قضية حمل الحسين عليه السلام لأسرته فيها الكثير من المعاني الغائبة عن الناظرين وقتها ، ويعسر فهمها بسهولة على العقول ، ولا يمكن معرفة أسرار تعريض الأسرة الحسينية إلى ما تعرضت إليه من أنواع الكوارث من سبي وضرب وسوق وغيرها مما يأباه العربي لنسائه فضلا عن الهاشمي العلوي إلا بعد الرسالة العظيمة التي قامت بها هذه الأسرة من إكمال للثورة الحسينية وتبليغ الأمة حجم ما انتهكت من حرمات ، فكانت هذه العائلة التي أحسن ما توصف بأنها حرم الله مشهد حسيني متنقل من قصبة إلى أخرى ومن مدينة إلى ثانية ، وكأن الله أراد لكربلاء وما شهدت من سويعات تلك المعركة الرهيبة أن يراها الناس ماثلة أمامهم بشخوص هذه الحرائر وصور تلك الأطفال التي لا أشك في أنها قطع من الملائكة تجوب المدن والأسواق.

ولست أشك في أن مثل محمد بن الحنفية لا يعزب عنه أن أوان رحلة الحسين قد بدأ وأن قصة استشهاده لا محالة واقعة فهي مما بكى لها الرسول صلى الله عليه وآله وخواصه من أهل بيته ،وحفظ تفاصيلها أبناؤه ومنهم محمد بن الحنفية فهو القائل له حين وداعه : ((يا أخي، أستودعك الله من شهيد مظلوم)) [٢٨]، أقول لست أشك في ذلك كله غير أن الأمر إذا وصل إلى النساء والأطفال قد يذهل المرء أمامه ويغفل سر معرفته حاشا الحسين عليه السلام.

وفي شاهد آخر، والحق محطات رحلة الحسين عليه السلام كلها شواهد ، ولكن كلما اقتربنا من لحظة الحدث من الزمان والمكان سنشهد تسليما منقطع النظير ، فمما نقل عن الإمام زين العابدين عليه السلام شاهد الحدث قوله: ((إني جالس في تلك العشية التي قتل أبي صبيحتها ، وعمتي زينب عندي تمرضني، إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له ، وعنده حوي [٢٩] مولى أبي ذر الغفاري ، وهو يعالج سيفه ويصلحه ، وأبي يقول :

يا دهر أف لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل ... وكل حي سالك السبيل

فأعادها مرتين ، أو ثلاثا حتى فهمتها فعرفت ما أراد ، فخنقتني عبرتي ، فرددت دمعي ولزمت السكوت ، فعلمت أن البلاء قد نزل . فأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت - وهي امرأة ، وفي النساء الرقة والجزع - فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها - وإنها لحاسرة - حتى انتهت إليه ، فقالت : واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة ! اليوم ماتت فاطمة أمي ، وعلي أبي ، وحسن أخي ، يا خليفة الماضي وثمال الباقي ! فنظر إليها الحسين (عليه السلام) فقال : يا أخية ! لا يذهبن بحلمك الشيطان . قالت : بأبي أنت وأمي ، يا أبا عبد الله ! أستقتلت ؟ نفسي فداك . فرد غصته وترقرقت عيناه وقال : لو ترك القطا ليلا لنام ! قالت

: يا ويلتي ! أفتغصب نفسك اغتصابا ؟ ! فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي ! ولطمت وجهها ، وأهوت إلى جيبها وشقته وخرت مغشيا عليها ! فقام إليها الحسين (عليه السلام) ، فصب على وجهها الماء وقال لها : يا أخية ! اتقي الله وتعزي بعزاء الله ، واعلمي أن أهل الأرض يموتون ، وأن أهل السماء لا يبقون ، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته ، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده ، أبي خير مني ، وأمي خير مني ، وأخي خير مني ، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة . فعزاها بهذا ونحوه ، وقال لها : يا أخية ! إني أقسم عليك فأبري قسمي ، لا تشقي علي جيبا ، ولا تخمشي علي وجها ، ولا تدعي علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت . ثم جاء بها حتى أجلسها عندي)) [٣٠] .إن هذا النعي التفصيلي المبكر من الحسين لنفسه يعجز عن بيانه أمثالي ، ولا مثيل له في تاريخنا غير الحسين عليه السلام نفسه، لأنه تنظير وتطبيق في الوقت ذاته ، نعم، توجد له شواهد من آبائه عليهم السلام وهي لا ريب عظيمة ، إلا أن الله دفعها عن أصحابها كما قدمنا بفداء إسماعيل بذبح عظيم، وكما دفع الله تعالى عن فداء الإمام علي عليه السلام بنفسه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم نام في فراشه .ومن هنا تبو حرارة مصيبة الحسين ووقع شدتها على النفوس على مر التاريخ.

وفي غداة العاشر من المحرم صلى بأصحابه ، ثم التفت إليهم فقال : ((إن الله قد أذن في قتلكم فعليكم بالصبر)) . [٣١]

ثالثا: الواقعية

يمكن عد رحلة الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق والأماكن المختلفة التي أوقف فيها رحله ليستريح بمثابة عملية نخل للناس- وأقول للناس - على وجه العموم ولا اخص المسلمين لأن أصحاب الحسين عليه السلام الذين التحقوا به طوائف كثيرة لا يجمعهم مكان واحد أو دين واحد ، فمنهم النصارى كأبي وهب، ومنهم العبيد كجون ومنهم المسلمون ، غير أنهم جمعهم خلوص النية وصفاء السريرة ومحبة الحسين وجده وأبيه عليهم السلام، وقد كانت هذه الرحلة فرصة الالتحاق للظفر بهذا الفوز. إنهم حقا نخالة البشرية وخلاصة الماضين واللاحقين.

وكان طبيعيا أن يكونوا بهذه القلة من العدد على الرغم من المكانة المعروفة للحسين عليه السلام بين المسلمين، ولاسيما إذا أضفنا إلى ذلك أسبابا كثيرة كقدرة السلطة الأموية على عزل ركب الحسين عليه السلام عن التواصل مع الجمهور بمحاصرة المدن وقطع الطريق على الخارجين للالتحاق بالركب الحسيني .

على أية حال ، كان الخطاب الحسيني واقعيا ، ليست به حاجة إلى التعبئة والتحشيد كما يصنع القادة العسكريون من المبالغة والتمنيات ، لأن مهمته نوعية ومؤثرة لا تتطلب مثل ذلك الخطاب ، لذلك جمع أصحابه واهل بيته وخاطبهم بأبلغ خطاب صريح ((قال علي بن الحسين (عليهما السلام) : كنت مع أبي الليلة

التي قتل صبيحتها ، فقال لأصحابه : هذا الليل فاتخذوه جملا ، فإن القوم إنما يريدونني ، ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم ، وأنتم في حل وسعة . فقالوا : لا ، والله ! لا يكون هذا أبدا . قال : إنكم تقتلون غدا كذلك ، لا يفلت منكم رجل . قالوا : الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك . ثم دعا ، وقال لهم : إرفعوا رؤوسكم وانظروا . فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة ، وهو يقول لهم : هذا منزلك يا فلان ! وهذا قصرك يا فلان ! وهذه درجتك يا فلان ! فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدره ووجهه ليصل إلى منزله من الجنة)) [٣٢] ، وما كان من رد أصحابه وأهل بيته إلا أن يكون حماسيا اعتصر الدنيا فداء وبطولة ووفاء، فهذا العباس عليه السلام أخوه قال بملء الفم : ((لم نفعل ذلك ؟ ألنبقى بعدك ؟ ! لا أرانا الله ذلك أبدا !)) [٣٣] ، واتبعه إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر عليه السلام فتكلموا بمثله ونحوه . فقال الحسين (عليه السلام) : ((يا بني عقيل ! حسبكم من القتل بمسلم ، فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم . قالوا : سبحان الله ! فما يقول الناس ؟ يقولون : إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ، ولم نرم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برمح ، ولم نضرب معهم بسيف ، ولا ندري ما صنعوا ، لا والله ما نفعل ! ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ، ونقاتل معك حتى نرد موردك ! فقبح الله العيش بعدك !)) [٣٤] .

وخطب أصحابه بمثل هذه الواقعية الحماسية البطولية فقام إليه مسلم بن عوسجة فقال : ((أنحن نخلي عنك ، وبما نعتذر إلى الله في أداء حقك ! أما والله ! حتى أطعن في صدورهم برمحي ، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة . والله ! لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسوله فيك ، أما والله ! لو قد علمت أني أقتل ، ثم أحيى ، ثم أحرق ، ثم أحيى ، ثم أذرى ، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقي حمامي دونك ، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا . وتكلم زهير بن القين وجماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضا)) [٣٥] .

وفي موضع آخر اختبر الحسين عليه السلام بعض أصحابه في حوارية قل نظيرها ووجب علي نقلها كاملة، لأنها تبين عن عمق التأثير الحسيني في أصحابه ورفقاء مسيرته وسريان فلسفته للموت والفداء من أجل العقيدة إلى نفوس محبيه ، إذ ورد أنه ((لما نزل الحسين (عليه السلام) في كربلاء كان أخص أصحابه به ، وأكثرهم ملازمة له هلال بن نافع سيما في مظان الإغتيال ، لأنه كان حازما بصيرا بالسياسة ، فخرج الحسين (عليه السلام) ذات ليلة إلى خارج الخيم حتى أبعد ﴿ بعد ﴾ فتقلد هلال سيفه وأسرع في مشيه حتى لحقه ، فرآه يختبر الثنايا والعقبات والأكمات المشرفة على المنزل . ثم التفت إلى خلفه فرآني ، فقال (عليه السلام) : من الرجل ، هلال ؟ قلت : نعم ، جعلني الله فداك ! أزعجني خروجك ليلا إلى جهة معسكر هذا الطاغي . فقال : يا هلال ! خرجت أتفقد هذه التلاع مخافة أن تكون كناء ﴿ مكمنا ﴾ لهجوم الخيل

على مخيمنا يوم تحملون ويحملون . ثم رجع وهو قابض على يساري ويقول : هي هي ، والله ! وعد لا خلف فيه ! ثم قال : يا هلال ! ألا تسلك ما بين هذين الجبلين من وقتك هذا وانج بنفسك . فوقع على قدميه وقال : إذا ثكلت هلالا أمه ! سيدي ، إن سيفي بألف وفرسي مثله ، فو الله الذي من علي بك لا أفارقك حتى يكلا عن فري وجري . ثم فارقني ودخل خيمة أخته ، فوقفت إلى جنبها رجاء أن يسرع في خروجه منها ، فاستقبلته ووضعت له متكئا وجلس يحدثها سرا ، فما لبثت أن اختنقت بعبرتها وقالت : وا أخاه ! أشاهد مصرعك وأبتلى برعاية هذه المذاعير من النساء والقوم كما تعلم ما هم عليه من الحقد القديم ، ذلك خطب جسيم يعز علي مصرع هؤلاء الفتية الصفوة وأقمار بني هاشم ! ثم قالت : أخي ، هل استعلمت من أصحابك نياتهم فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة واصطكاك الأسنة ! فبكى (عليه السلام) وقال : أما والله ! لقد نهرتهم وبلوتهم وليس فيهم ﴿ إلا ﴾ الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بلبن أمه . فلما سمع هلال ذلك بكى رقة ورجع ، وجعل طريقه على منزل حبيب بن مظاهر ، فرآه جالسا وبيده سيف مصلت ، فسلم عليه وجلس على باب الخيمة . ثم قال له : ما أخرجك يا هلال ! ؟ فحكيت له ما كان ، فقال : إي والله ! لولا انتظار أمره لعاجلتهم ، وعالجتهم هذه الليلة بسيفي ! ثم قال هلال : يا حبيبي ! فارقت الحسين (عليه السلام) عند أخته وهي في حال وجل ورعب ، وأظن أن النساء أفقن وشاركنها في الحسرة والزفرة ، فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجهن بكلام يسكن قلوبهن ويذهب رعبهن فلقد شاهدت منها ما لا قرار لي مع بقائه ، فقال له : طوع إرادتك ! فبرز حبيب ناحية وهلال إلى جانبه وانتدب أصحابه فتطالعوا من منازلهم ، فلما اجتمعوا قال لبني هاشم : ارجعوا إلى منازلكم لا سهرت عيونكم ، ثم خطب أصحابه وقال : يا أصحاب الحمية ! وليوث الكريهة هذا هلال يخبرني الساعة بكيت وكيت ، وقد خلف أخت سيدكم وبقايا عياله يتشاكين ويتباكين ، أخبروني عما أنتم عليه . فجردوا صوارمهم ورموا عمائمهم وقالوا : يا حبيب ! أما والله الذي من علينا بهذا الموقف لئن زحف القوم لنحصدن رؤوسهم ولنلحقنهم بأشياخهم أذلاء صاغرين ولنحفظن وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أبنائه وبناته . فقال : هلموا معي ، فقام يخبط الأرض وهم يعدون خلفه حتى وقف بين أطناب الخيم ونادى : يا أهلنا ، ويا ساداتنا ، ويا معاشر حرائر رسول الله ! هذه صوارم فتيانكم آلوا أن لا يغمدوها إلا في رقاب من يبتغي السوء فيكم ، وهذه أسنة غلمانكم أقسموا أن لا يركزوها إلا في صدور من يفرق ناديكم . فقال الحسين (عليه السلام) : أخرجن عليهم ، يا آل الله ! فخرجن وهن ينتدبن ، وهن يقلن : حاموا أيها الطيبون ! عن الفاطميات ، ما عذركم إذا لقينا جدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وشكونا إليه ما نزل بنا ! ؟ وقال : أليس حبيب وأصحاب حبيب كانوا حاضرين يسمعون وينظرون ؟ فوالله الذي لا إله إلا هو ! لقد ضجوا ضجة ماجت منها الأرض واجتمعت لها خيولهم ، وكان لها جولة واختلاف وصهيل حتى كأن كلا ينادي صاحبه وفارسه !)). [٣٦] وماذا أكثر من ذلك في هذا

الاختبار ؟ وماذا أكثر من ذلك في هذا الجواب ؟ أليس هؤلاء خلاصة الناس وأصفياءهم ، ومن هنا خطب فيهم الحسين عليه السلام في تلك الليلة العظيمة قائلا : ((.. أما بعد ، فإني لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابي ، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي ، فجزاكم الله عني جميعا خيرا))(٣٧).

ومجمل القول كان الموت في نظر الحسين عليه السلام فلسفة إحياء للدين ومشروع استنهاض للأمة فكانت كربلاء بحق صور ذلك الإحياء والاستنهاض .

الخاتمة

توضحت من رحلة البحث مجموعة من النتائج تنحصر على النحو الآتي :

أولا: قدم الحسين عليه السلام رؤية جديدة في قضية الموت تعلقت بالكيفية التي يحيي بها الدين ويهز بها مشاعر الأمة .

ثانيا : تمثل الحسين الموت سبيلا لحياة الخلود فجرى على لسانه بألفاظ العشق والوله على غير عادة المأثور الأدبي في تصوير الموت .

ثالثا : قامت رحلة الحسين عليه السلام التي سميناها رحلة الحياة على أسس في غاية الوضوح والتسليم والواقعية .

هوامش البحث

(١) آل عمران : ١٦٩

(٢) ينظر في ذلك : الأربلي ، كشف الغمة: ٢٢٧/٣، الفصول المهمة، ابن الصباغ: ٦٨١/٢، ٨٧٤/٢ ، ٩٠٢/٢، ٩٢٠/٢، ٩٦٠/٢، ١٠٥٢/٢، ١٠٥٨/٢، ١٠٧٦/٢، ١٠٩٣/٢، الطبرسي، إعلام الورى : ١٣١/٢.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف ، ابن طاووس: ٩٥، بلاغة علي بن الحسين، جعفر عباس حائري: ٢٥١

(٤) الطبرسي ، إعلام الورى : ٣٦٧ ، كشف الغمة، الإربلي : ٢٢٧/٣، الفصول المهمة، ابن الصباغ: ٢/ ١٠٩٣

(٥) ظ.عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١٨٩/١

(٦) مقاتل الطالبيين، الأصفهاني: ٣١٥.

(٧) ديوان ابن الرومي ، تحقيق عبد الأمير علي مهنا : ١٤٥

(٨) ديوان الجواهري، الأعمال الكاملة : ٧٢٦/٤

(٩) نهج البلاغة ، بشرح محمد عبده : ٢٢٤/٢

(١٠) مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣٨٥/١

(١١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٢٢٤/٣، ترجمة الإمام الحسين، ابن عساكر : ٣١٦

(١٢) كشف الغمة ، الإربلي : ٢٣٩/٢ ، موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع) : ٣٩٨

(١٣) يوسف : ٨٤-٨٦

(١٤) الهداية الكبرى، الخصيبي : ٢٠٤ ، موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع) : ٤٨٧
(١٥) مقتل الحسين، أبو مخنف : ٩٢ ، الإرشاد، الشيخ المفيد : ٨٢/٢ ، تاريخ الطبري، الطبري: ٣٠٨/٤ ،
(١٦) : اللهوف في قتلى الطفوف ، ابن طاووس: ٥٩
(١٧) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٢٤١/٣، حياة الإمام الحسين ، باقر شريف القرشي: ١٢/١
(١٨) كشف الغمة، الإربلي : ٢/ ٢٣٩
(١٩) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٣٨
(٢٠) مقتل الحسين ، ابو مخنف : ٨٦
(٢١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٢ / ٣١٨.
(٢٢) المصدر نفسه : ٣/ ٣٣٢.
(٢٣) ظ. لسان العرب،ابن منظور : مادة (صبب).
(٢٤) ظ.التصوير الفني في خطب الإمام علي(ع)، عباس الفحام : ٨٩
(٢٥) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ١٠/ ٢٥٦.
(٢٦) الصافات : ١٠٢
(٢٧) اللهوف ، ابن طاووس : ٤٠
(٢٨) موسوعة كلمات الإمام الحسين : ٤٠٦
(٢٩) الكامل ، ابن الأثير : ٥٨/٤ ، وحوي هو جون بن حوي .
(٣٠) المصدر نفسه .
(٣١) بحار الأنوار ، المجلسي : ٤٥/ ٨٧
(٣٢) الجرائح والخرائج، الراوندي : ٨٤٧/٢
(٣٣) موسوعة كلمات الإمام الحسين : ٤٨٤
(٣٤) المصدر نفسه .
(٣٥) نفسه .
(٣٦) الإرشاد ، الشيخ المفيد : ٩١/٢، موسوعة كلمات الإمام الحسين : ٤٩٣
(٣٧) الإرشاد ، الشيخ المفيد : ٩١/٢

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم
- الإرشاد ، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد (ت ٤١٣هـ)، صححه واخرجه: السيد كاظم الموسوي المياموي ، مطبعة طهران ، سوق السلطان ١٣٧٧هـ.
- ديوان ابن الرومي ، ابن الرومي ، شرح وتحقيق عبد الأمير علي مهنا، ط٢،دار مكتبة الهلال ، لبنان ، ١٩٩٨م.
- إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي(ت ٥٤٨هـ)، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، مطبعة ستارة – قم ، ١٤١٧هـ.

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، الشيخ محمد باقر المجلسي(ت١١١١هـ) ، مؤسسة الوفاء ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣.

- بلاغة الإمام علي بن الحسين، جعفرعباس حائري ، ط١، ١٤٢٥هـ، مطبعة دار الحديث، ايران
- التصوير الفني في خطب الإمام علي(ع)، د.عباس الفحام، مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمان الأردن ٢٠١٢
- ترجمة الإمام الحسين، ابن عساكر(ت٥٧١هـ) ، تح: محمد باقر المحمودي ، ط٢،مطبعة فروردين ١٤١٤هـ
- الجرائح والجرائح، قطب الدين الراوندي(ت٥٧٣هـ) ، تح: مؤسسة الإمام المهدي ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، مطبعة العلمية قم .
- حياة الإمام الحسين(ع) ، باقر شريف القرشي، الطبعة الرابعة، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٤
- ديوان الجواهري ، الأعمال الكاملة (١-٧) للشاعر محمد مهدي الجواهري، دار الحرية للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية – بغداد ٢٠٠١م .
- عيون أخبار الرضا، الصدوق(ت٣٨١هـ) ، تح: حسين الأعلمي، ١٩٨٤، مطبعة الأعلمي. لبنان.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المدائني (ت ٦٥٦ هـ).تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ،١٩٥٩ م
- الفصول المهمة في معرفة الئمة، ابن الصباغ(ت٨٥٥هـ) ، تح: سامي الغريري ، مطبعة دار الحديث ، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) دار صادر ودار بيروت -بيروت .١٩٦٦م.
- كشف الغمة، ابن أبي الفتح الإربلي(ت٦٩٣هـ) ، دار الأضواء لبنان .
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري(ت ٧١١هـ).دار صادر ودار بيروت ، لبنان ١٣٧٩هـ - ١٩٥٥م.
- اللهوف في قتلى الطفوف ،السيد ابن طاووس(ت٦٦٤هـ) ، ط١، ١٤١٧هـ، مطبعة مهر.
- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني(ت٣٥٦هـ) ، تح: كاظم المظفر، ط٢، ١٩٦٥م. النجف الأشرف
- مقتل الحسين ، ابو مخنف الأسدي(ت١٥٧هـ) ، تح: حسين الغفاري ، مطبعة العلمية قم
- موسوعة كلمات الإمام الحسين ، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ، ط٣، ١٩٩٥.
- نهج البلاغة ، تحقيق و شرح : الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، مطبعة النهضة – قم.
- الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصيبي(ت٣٣٤هـ) ،ط٤، مؤسسة البلاغ، لبنان.١٩٩١م.